**المحاضرة الحادية عشر: النّقد الواقعي**

غرق الأدب في ظلّ التّيارات الرّومانسية الّتي أحدثت فراغاً رهيباً بين الأدب والواقع، فنادى الأدباء والنّقاد بضرورة عودة الأدب إلى الواقع لتصويره (نمذجة الواقع)، وساعدت مجموعة من العوامل على ظهوره، منها: التّقدم القائم على المنهج التّجريبي والانتقال من الذّاتية المطلقة إلى الموضوعية والدّافعية، فظهرت في السّاحة الواقعية الاشتراكية والواقعية الأدبية والواقعية النّقدية، وهي موضوع محاضرتنا.

**الواقعية في الإبداع الغربي:**

عاصرت الواقعية الرّومانسية وتشبّعت بمبادئها، لكنّها كانت الأطول عمراً مقارنة بالمذاهب الأدبية الأخرى، إذ هيمنت على السّاحة النّقدية العربية عقدين كاملين من الزّمن لاهتمامها بقضايا المجتمع وقدرتها على تصوير معاناة الأفراد، تطلّعاً إلى الحرّية المنشودة.

وقد حاول "محمود أنيس العالم" و"عبد العظيم أنيس" إرساء قواعد النّقد الواقعي من خلال كتاب "في الثّقافة المصرية". هذا فضلا عن "محمّد مندور" الّذي تعدّ كتبه مرجعاً هامّاً لاستنباط أسس النّقد بانتصار العقل على الأوهام.

لذا نجده يعرّف النّقد المنهجي في مقدّمة كتابه، فيقول: «الّذي نقصده بعبارة النّقد المنهجي هو النّقد الّذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامّة، ويتناول بالدّرس مدارس أدبية أو شعراء أو خصومات، يفصل القول فيها ويبسط عناصرها، ويبصر بمواضع الجمال أو القبح فيها».

كما يرى أنّ قوله هذا لا ينطبق في رأيه إلّا على أعمال الأمدي في الموازنة بين الطّائيين، و"الجرجاني" صاحب الوساطة بين "المتنبّي" وخصومه. وهذا ما يكشف عن المبادئ المشتركة بينهما. فـ"الآمدي" و"الجرجاني" وضعا مقاييس مختلفة عن المقاييس التّقليدية، تتمثّل في:

* اعتماد مقاييس شعرية غير المقاييس البلاغية؛
* اعتماد مقاييس لغوية لا علاقة لها بالنّحو؛
* اعتماد مقاييس بيانية؛
* اعتماد مقاييس إنسانية وعقلية يستمدّها النّاقد من حقائق النّفوس، ومن التّجارب اليومية للنّاس.

كما يعدّ "حسين مروة" من أهمّ الشّخصيات الّتي تبنّت النّقد الواقعي، وقد قدّم نماذج تطبيقية اتبع فيها هذا النّوع من النّقد كطريقة جديدة أغوت العالم العربي بشقّيه الواقعي والفنّي.

يقول "حسين مروة" (في كتاب دراسة نقدية في ضوء المنهج الواقعي): «فإذا كان لابدّ لي في ختام هذا الحديث الشّبيه بالمقدّمة أن أقول كلمة عن هذا الكتاب، فليس عندي أكثر من القول، إنّه محاولات متواضعة لتطبيق المنهج الواقعي في الدّراسة النّقدية، وهو المنهج الّذي أشعر بطمأنينة عقلية ووجدانية لأنّني انتهجته... وبي رجاء مخلص، ومتواضع أيضاً أن تنال هذه المحاولات شرف كونها بحثاً عن الحقيقة، وشرف كونها لبنة صغيرة في بناء نهضة نقدية منهجية في بلادي» [ص09].

إذن إنّ وظيفة النّقد عند "حسين مروة" منفصلة عن الأفكار القبلية. يقول: «فإنّ أوّل ما تعنيه وظيفة النّقد تثقيف القارئ وإعانته على تفهّم الأعمال الأدبية وكشف المغلق من مضامينها، وإدخاله إلى مواطن أسرارها الجمالية وإرداف ذوقه وحسّه الجمالي وإغناء وجدانه ووعيه بالقدرة على استبطان التّجارب والأفكار والدّلالات الاجتماعية والمواقف الإنسانية الّتي يقفها الشّاعر أو الكاتب خلال العمل الفنّي، تجاه قضايا عصره ووطنه أو مجتمعه» [ص 08].

فالنّقد الواقعي ينطلق من المضامين الواقعية، ويكشف عن المغلق فيها، كما يغوص في الأبعاد الجمالية للتّجربة الإبداعية، وبهذا فهو يتجاوز النّقل الكلّي للواقع (النّمذجة) إلى التّصوير الجمالي.